مجلة الشهاب ● المجلد: 11، العدد: 2 (2025م) ● ص ص 59 – 82
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

التربية الفكرية في القرآن الكريم المبادئ، العوائق، والقواعد التوجيهية

Qur'anic Intellectual Education: Principles, Obstacles, and Guiding Frameworks

عز الدين حدو*
جامعة محمد الأول (المغرب)
haddouazeddin123@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024-10-24	تاريخ القبول: 2025-04-07	تاريخ النشر: 2025-07-15

****

ملخص:

يتناول هذا البحث مكانة الفكر في البناء الإنساني من منظور قرآني، مبرزًا دوره الجوهري في الإسلام بوصفه وسيلة للتأمل الواعي، والتدبر الراشد، والتفاعل الخلاق مع النص والكون. ويسعى إلى استكشاف المنهجية القرآنية في تربية الفكر الإنساني، من خلال تحليل المبادئ التربوية والآليات القرآنية التي تستهدف توجيه العقل نحو التفكير السديد والمستنير، بما يحقق للإنسان وظيفته العمرانية، ويفتح له آفاقًا رحبة للإبداع والمعرفة، مع الوقوف على أبرز العوائق التي تعطل هذه المسيرة؛ ينقسم البحث إلى محاور رئيسية: بيان مفهوم الفكر ومكانته في التصور الإسلامي، الكشف عن المعوقات التي تعترض نموه واستقلاله، ثم دراسة المبادئ التي ترسم ملامح الفكر القرآني الرشيد، فالضوابط التي تضبط مساره وتحفظ اتزانه واستمراريته. ويسعى البحث إلى تجاوز المقاربات الجزئية، عبر بناء رؤية قرآنية متكاملة تسهم في تأسيس تربية فكرية قائمة على التدبر، ومحصنة من الجمود والانحراف، وقادرة على ملامسة قضايا الإنسان في عصر التحول والانفتاح.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ التربية؛ الفكر؛ المنهجية القرآنية؛ الضوابط القرآنية.

Abstract:

This study explores the status of intellectual development in human formation from a Qur'anic perspective, highlighting its central role in Islam as a means for conscious reflection, sound contemplation, and creative engagement with both revelation and the universe. It seeks to examine the Qur'anic methodology for cultivating the human intellect by analyzing the educational principles and divine mechanisms intended to guide the mind toward sound, enlightened thinking. Such a process is viewed as essential to fulfilling humanity's civilizational role, opening expansive horizons for knowledge and creativity, while also addressing the key obstacles that hinder this intellectual journey. The research is structured around major themes: defining the concept of thought and its significance in the Islamic worldview, identifying the barriers to its growth and independence, studying the foundational

* المؤلف المراسل.

principles that shape a balanced Qur'anic intellect, and presenting the guiding rules that ensure its sustainability and integrity. The study aims to move beyond fragmented approaches by offering an integrated Qur'anic vision for intellectual education—rooted in contemplation, fortified against stagnation and deviation, and capable of engaging the pressing challenges of a dynamic and open world.

Keywords: The Qur'an; Education; Thought; Qur'anic Methodology; Qur'anic Guidelines.

1. مقدمة

اهتم القرآن الكريم بمسألة التنمية بمختلف قضاياها البشرية والعمرانية والمادية... بشكل كبير لا تجده في غيره من المعتقدات الدينية والكتب السماوية. وقد حضر موضوع تنمية الفكر البشري ضمن هذه القضايا بقوة، حيث إن الناظر في الآيات القرآنية تلفته تلك الدعوة القرآنية الواضحة إلى إعمال العقل والخاطر مرة، وإلى التفكير مرات أخرى، كما يجد ذلك الحديث المتكرر عن العمليات العقلية بشكل مباشر أو غير مباشر، في العديد من المواضع والسياقات القرآنية.

ثم إن القارئ لكتاب الله تعالى يجد تفصيل هذه الدعوة من خلال ما تميز به من طرائق منهجية في تنمية فكر الإنسان، وإثارة عقله نحو التفكر والتبصر والنظر، لتدبر الآيات القرآنية المقروءة، والتفكير في سنن الله الكونية والنفسية. وهذا كله وفق رؤية لها من الأدوات والأساليب ما من شأن توجيه قوى الإنسان الباطنة والظاهرة بشكل توافقي تكاملي، ينمي في الإنسان فكره تحقيقا للعبودية الكاملة لربه، وأداء لواجب الاستخلاف فوق الأرض.

ولا شك أن العقل هو محور عملية التفكير، وهو الميزة التي اختص بها الإنسان عن غيره من الكائنات. عن طريقه يدرك ويعبر عن موجودات العالم المحسوس وما يخالج النفس البشرية من أحوال مادية أو معنوية، سعيًا منه إلى حل العوائق والمشكلات التي تعترضه في الحياة، مما يساعده على التكيف والبقاء وصناعة حضارته الإنسانية.

وللأهمية التي يكتسيها الفكر، يستوجب علينا العودة إلى القرآن الكريم من أجل صياغة منهجية علمية، تنميه وتوجهه بما يخدم قضايا الإنسان الكبرى. وهو الأمر الذي تسعى إليه هذه الورقة العلمية، في محاولة للبحث عن أجوبة لإشكالية البحث.

أسباب اختيار موضوع البحث:

أهمية الفكر في الإسلام: الفكر يحتل مكانة مركزية في النصوص القرآنية، حيث يعد أداة للتأمل والتدبر وتحقيق وظيفة الإنسان الاستخلافية، مما يجعله موضوعًا جديرًا بالدراسة.

أهمية الفكر في مواجهة تحديات العصر: في ظل التغيرات المتسارعة والتحديات الفكرية والثقافية التي تواجه المجتمعات الإسلامية، تبرز الحاجة إلى فهم منهجية قرآنية قادرة على توجيه الفكر البشري بما يعزز الاستجابة لهذه التحديات.

تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة: البحث يسعى لاستكشاف كيف يمكن للمنهجية القرآنية أن تدمج بين الحفاظ على القيم الإسلامية الأصيلة ومعالجة قضايا الفكر المعاصرة.

دور الفكر في بناء الحضارة: الفكر السليم أساس بناء الحضارة الإنسانية. دراسة أسس التربية الفكرية في القرآن الكريم تسهم في تقديم رؤية لتطوير المجتمعات الإنسانية على قواعد التدبر والعقلانية.

إثراء الدراسات التربوية الإسلامية: يهدف البحث إلى تقديم إضافة نوعية في مجال الدراسات التربوية الإسلامية، من خلال استنباط مبادئ وآليات مستدامة لتربية الفكر وتنميته.

أهمية الدراسة:

كل فكر بشري له منطلقاته ومبادئه التي يرتكز عليها ويستند إليها في تفسيره للظواهر الكونية، ويعبر بواسطتها عن معتقداته المذهبية وتوجهاته السياسية والمجتمعية، ويبني وفقها إنتاجاته العلمية. ففكر الإنسان الغربي مثلا تشكل انطلاقا من أفكار عدة، كنظرية التطور وصراع الطبقات وغير ذلك. أما المسلمون فقد مارسوا تفكيرهم في إعمار الأرض وما تحتاجه الحياة، وفق تعاملهم العلمي مع نصوص الوحي استنطاقا وتحكيما، وهي في الحقيقة استجابة للنداء القرآني في إعمال العقل (الفكر)، لفهم هذه النصوص على ضوء مقاصد الشريعة، بما يصلح الإنسان في حاله ومآله. وبالتالي؛ نحتاج البحث عن معالم هذا النداء القرآني، والمنهجية التي رسمها لتربية الفكر البشري الذي يعد قطب الرحى في تكليف الانسان واستخلافه على الأرض وتنميته.

الأهداف العلمية للبحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف العلمية التالية:

- إبراز دور الفكر في التصور الإسلامي من خلال استكشاف مكانته المركزية في القرآن الكريم كأداة أساسية للتفكر والتدبر.
- تحديد العوائق التي تعترض تربية الفكر وتنميته وفق المنهج القرآني، وتحليل التحديات المعاصرة التي تؤثر على استدامة الفكر السليم.
- استعراض المبادئ القرآنية والأساليب التربوية التي يطرحها القرآن الكريم لتنمية الفكر البشري، وكيفية توجيه العقل نحو التفكير المنطقي والإبداعي.
- توضيح الضوابط والقواعد القرآنية التي تضمن تربية فكرية متكاملة وسليمة، قادرة على التكيف مع تطورات العصر مع الحفاظ على القيم الإسلامية الأصيلة.

إشكالية البحث:

تشكل مسألة تنمية الفكر البشري تحديًا محوريًا في بناء الإنسان وتحقيق وظيفته الاستخلافية، خاصة في ظل التغيرات المتسارعة والتحديات المعاصرة التي تهدد استدامة الفكر السليم. وفي هذا

السياق، يبرز القرآن الكريم كمرجع أساسي يقدم منهجية شاملة لتوجيه العقل البشري نحو التفكير السليم والتفاعل البناء مع الكون والشرع. ومع ذلك، فإن السؤال المركزي الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن استثمار المنهجية القرآنية لتربية الفكر البشري وتنميته بشكل يحقق الانسجام بين قدرات الإنسان العقلية ومتطلبات الحياة المعاصرة، مع الحفاظ على القيم الإسلامية الأصيلة؟ ومن هنا، تنبع الحاجة إلى دراسة معمقة تكشف عن المبادئ القرآنية والأساليب التربوية والضوابط التي تضمن بناء فكر إنساني متكامل قادر على مواجهة التحديات وتحقيق التوازن بين العقل والنقل في مختلف قضايا الحياة.

ويتفرع عن هذا الإشكال جملة من الأسئلة الفرعية هي:

- ما مكانة الفكر في القرآن الكريم؟
- ما هي العوائق التي تحول دون تربية مستدامة للفكر البشري؟
- ما هي المبادئ التربوية لتنمية التفكير في القرآن الكريم؟
- ما هي الضوابط والقواعد القرآنية لبناء فكر سليم؟

حدود البحث:

تقتصر هذه الدراسة على تحليل المبادئ والأساليب القرآنية التي تساهم في تنمية الفكر البشري، مع التركيز على كيفية توجيه العقل البشري وفقاً للتعاليم القرآنية. كما تدرس الدراسة التحديات والعوائق التي قد تؤثر على هذه العملية التنموية، وتبحث في الضوابط القرآنية التي تضمن استدامة الفكر السليم في سياق الحياة المعاصرة. تقتصر الدراسة على تناول النصوص القرآنية دون التطرق إلى الدراسات القرآنية التفصيلية أو فروع أخرى من العلوم الإسلامية، كما تركز على تطبيقات الفكر القرآني في التربية الفكرية من منظور تطبيقي.

الدراسات السابقة:

لقد تم تناول موضوع الفكر في القرآن الكريم من قبل العديد من الباحثين، لكن الدراسات السابقة غالبًا ما تركزت على جوانب معينة دون تقديم رؤية شاملة ومتكاملة لتنمية الفكر البشري. وفيما يأتي بيان ذلك:

الدراسة الأولى: أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير - نموذج سورة الشورى، للباحث: شوكت محمد العمري، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد 18 عدد 52 (2003). محاولة لتقديم سورة الشورى كنموذج قرآني متكامل في إبراز الأساليب التفكيرية، إلا أن طابعها الجزئي المحدود بسورة واحدة قلل من قدرتها على تقديم تصور شامل للتربية الفكرية، وهو ما تجاوزته الدراسة الحالية ببناء رؤية كلية تجمع بين المبادئ والعوائق والقواعد في ضوء نسق قرآني عام.

الدراسة الثانية: مهمة القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، للباحث: مصطفى محمود حوامده، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19 العدد الثاني (2003). رغم ما تتميز به الدراسة من إبراز

لقيمة التفكير المنظومي كبديل للتفكير الخطي، فإنها ظلت حبيسة زاوية واحدة من زوايا النظر القرآني للفكر، بينما جاءت الدراسة الحالية لتؤسس لفهم مركب وشامل للتفكير في القرآن لا يقف عند نمط دون آخر، بل ينظر إليه بوصفه عملية تربوية لها أركانها وضوابطها ومقاصدها.

الدراسة الثالثة: منهج القرآن الكريم في تنمية التفكير، للباحث: محمود الهيشان (منشورات: أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية (2006)، وإن حاولت الدراسة تتبع أهداف التفكير القرآني والعوائق التي تواجهه، إلا أنها لم تعالج التربية الفكرية بوصفها منظومة تربوية مستقلة، كما افتقرت إلى الربط المنهجي بين العوائق والمبادئ والضوابط، وهو ما تداركته الدراسة الحالية من خلال بناء هيكلي محكم لتلك العناصر الثلاثة.

الدراسة الرابعة: منهج القرآن الكريم في تنمية التفكير التأملي وتطبيقاته التربوية، للباحث: عطاف منصور عياصرة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مجلد 21 العدد 2 (2017). ركزت الدراسة على نوع واحد من التفكير (التأملي) وفاعليته التربوية داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع، إلا أن تركيزها على التطبيقات العملية دون تأصيل نظري متين جعلها بعيدة عن العمق المفاهيمي والمنهجي الذي اختطته الدراسة الحالية في سعيها لتأصيل التربية الفكرية من منظور قرآني شمولي.

الدراسة الخامسة: التنمية الفكرية في الخطاب القرآني، للباحث: بلال خليل، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد 2 العدد 2 (2018). تم التركيز في هذه الدراسة على الملامح الأسلوبية في الخطاب القرآني كالإيجابية والواقعية والتوازن، لكنها لم تنفذ إلى البنية التربوية العميقة التي تحكم توجيه الفكر في القرآن، وهو ما يُعد من النقاط التي ميزت الدراسة الحالية التي تجاوزت وصف الخطاب إلى تحليل منظومته التربوية.

الدراسة السادسة: أساليب التربية القرآنية في تنمية مهارات التفكير في ضوء العصر الرقمي، للباحثين: علاء حسني فرج ووليد عبد الرحمن إسماعيل، مجلة الجامعة العراقية، المجلد 16 العدد 2 (2023). تميزت الدراسة بتناولها لواقع التفكير في ظل التحولات الرقمية، غير أن معالجتها انطلقت من سياق تطبيقي تقني، بينما آثرت الدراسة الحالية الرجوع إلى الجذور القرآنية التأسيسية للفكر، لبناء تصور أصيل يمكن بعده التعامل مع مختلف التحديات المعاصرة.

إجمالا تأتي درساتنا لتفتل خيوط الحبل نفسه، مع بعض الإضافات التي نراها تكمل هذه الجهود وتفتح أبوابا أخرى للبحث في الموضوع:

معالجة التحديات والعوائق: تضيف الدراسة بُعدًا جديدًا من خلال تسليط الضوء على العوائق الثقافية والنفسية والاجتماعية التي تواجه عملية تنمية الفكر، وفق التصور القرآني. هذا يتيح فهمًا

أعمق للتحديات التي تعيق الأفراد عن تحقيق فكر سليم، وهو جانب لم يتم التركيز عليه بشكل كافٍ في الدراسات السابقة.

الضوابط القرآنية لاستدامة الفكر: تتفرد الدراسة بالتركيز على الضوابط القرآنية التي تضمن استدامة الفكر السليم وتطوره، إلى جانب المبادئ والأساليب. تُبرز الدراسة القواعد التي تحافظ على سلامة الفكر وتوجيهه بشكل مستدام، خاصة في ظل التحولات والتحديات المعاصرة.

التركيز على المنهج القرآني كإطار شامل: تقدم الدراسة المنهج القرآني كإستراتيجية تربوية متكاملة تهدف إلى بناء فكر عقلاني وواقعي. بدلاً من الاكتفاء بتناول نوع معين من التفكير (مثل التفكير التحليلي أو التأملي)، تركز الدراسة على القرآن الكريم كمنهج شامل لتوجيه الفكر الإنساني وتنميته في سياق تربوي متكامل.

خطة البحث:

وقد سلكت في دراسة الموضوع خطة بحثية كالتالي:

- مقدمة: تضم أهمية الموضوع وأهدافه، وإشكاليته، وأسباب اختياره، والدراسات المتعلقة به.
- محور أوّل: يتحدث عن مفهوم الفكر، ومكانته في التصور الإسلامي.
- محور ثاني: العوائق التي تحول دون تنمية الفكر وتربيته؛ وقد خصصته لتحليل التحديات والمشاكل التي تواجه تربية الفكر وفق المنظور القرآني وكيفية تجاوزها لتحقيق استدامة في التربية.
- محور ثالث: المبادئ القرآنية في تنمية الفكر البشري؛ وهو لاستعراض ودراسة للمبادئ القرآنية التي تشكل الأساس في تربية الفكر وتوجيهه.
- محور رابع: القواعد والضوابط القرآنية في تنمية الفكر البشري؛ توضيح للقواعد والضوابط القرآنية التي ينبغي الالتزام بها لتحقيق تربية فكرية صحيحة ومستدامة.
- خاتمة: نتائج وتوصيات.

2. في مفهوم الفكر، ومكانته في التصور الإسلامي

مفهوم "الفكر" من المفاهيم التي تتكرر بشكل ملحوظ في الخطاب الأكاديمي والعام، يوظف في مجالات معرفية متنوعة، إما مفردا أو مضافا أو موصوفا. ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى أن نستهل هذه الورقة العلمية بالحديث عن هذا المفهوم، حتى نكون على بيّنة من المراد به، وبيان منزلته ضمن حقل المفردات القرآنية. ننطلق في ذلك من دراسته لغويا، ثم ورواداته القرآنية، ثم اصطلاحيا من خلال أقوال العلماء في تعريفه والحديث عنه.

1.2. مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح:

مادة "فكر" في قواميس اللغة العربية لا تخرج عن المعاني التالية:

- تردد القلب في الشيء، يقال تفكّر إذا ردد قلبه معتبرا، ورجل فكّير: كثير الفكر.[1]
- إعمال الخاطر والنظر فيه[2].
- وفي معجم الصحاح الفكر: التأمل في الشيء[3].

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر 18]، ووردت في سبعة عشر موضعا بصيغة الفعل المضارع على النحو التالي: تتفكروا؛ تتفكرون؛ يتفكروا؛ يتفكرون، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة، 266].
- قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ 46].
- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21].
- قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50].

والملاحظ على التعريفات اللغوية: اختلافها في تحديد مصدرية الفكر، فالقلب غير العقل، والتردد غير النظر.

أما اصطلاحا؛ فلم يكتف العلماء والمفكرون بالتعريف اللغوي للفكر، وإنما حاولوا وسمه بتعريفات أكثر وضوحا، وجعلوا له من الخصائص والحدود ما يجعله أكثر تحقيقا لوظيفته. فقد عرّفه الجرجاني في تعريفاته أنه: "ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية، أو هو ترتيب أمور معلومة للوصول إلى مجهول"[4]، وفي مفردات القرآن للراغب الأصفهاني: "الفكرة قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكّر جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان ولا يقال إلاّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب"[5]. وقال بعض الأدباء: "الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها"[6]، وقال الإمام الغزالي: "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"[7].

(1) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص446.
(2) محمد بن منظور، لسان العرب، ج1، ص 883. ومجد الدين للفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 588.
(3) زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص 213. ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية، كلمة فَكَّرَ.
(4) علي الجرجاني، التعريفات، ج1، ص218.
(5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 643.
(6) شهاب الدين، الألوسي، روح المعاني، ج5، ص97.
(7) محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص 425.

ومن هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية وغيرها على اختلافها مما تركته تفاديا للحشو، أخلص إلى: أن الفكر أو التفكير؛ عملية تدبر وتأمل، سواء ارتبطت بالعقل أو القلب أو الروح أو النظر المجرد، تسوق الإنسان انطلاقا مما هو معلوم عنده، إلى معرفة ما هو مجهول عنه، أي تنمية علومه ومعارفه في الحياة. وهو على قسمين:

- أحدهما: النظر[1] في أمور الدنيا، كالنظر في العلاجات والتجارات.
- والثاني: النظر في أمور الدين، وذلك أيضا على قسمين: أحدهما: النظر في الشبه لتحل، والثاني: النظر في الأدلة ليتوصل بها إلى المعرفة[2].

وهذه العملية العقلية التي تسمى "فكرا" أو "تفكيرا" أو "نظرا"...، جاءت دعوة القرآن الكريم إليها صريحة في غير ما موضع، ولا يوجد خلاف بين المسلمين وغيرهم فيما امتاز به القرآن الكريم من تنويه بالعقل والتعويل عليه في أمور العقيدة، والتكليف، وفهم سنن الكون.

2.2. مكانة الفكر في التصور الإسلامي:

وترغيبا في تفعيل العقل في التفكير وبيان أهميته ومزاياه، نجد القرآن الكريم ينوع في أساليب دعوته إلى ذلك بين النّظر، والتّعقل، والتفقّه، والتدبّر، والتبصّر، والتذكّر، والاعتبار، وغيرها من الأساليب.

ولذلك، فمن علماء المسلمين المعاصرين من صنف "الفكر" مقصدا من المقاصد القرآنية، كما فعل الشيخ رشيد رضا ﵀ الذي جعل التفكير من مقاصد القرآن التي وجب الاعتناء بها وتشجيع أهلها، والأخذ بثمرات تفكيرهم، ذلك أن "آيات النظر العقلي والتفكر كثيرة في الكتاب العزيز، فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكر والعقل والتدبر، وأن الغافلين عن الدين يعيشون كالأنعام، لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تزكي الأنفس، ولا تثقف العقول، ولا تصعد بها في معارج الكمال، بعرفان ذي الجلال والجمال"[3].

وجعل الطاهر بن عاشور التفكير مدخلا رئيسا في إصلاح مناحي الحياة، فأكد على إصلاح هذا المدخل عبر ثماني نواح. قال ﵀: " استقريت نواحي إصلاح التفكير الواردة في الإسلام استقراء عاجلا فانتهيت إلى ثماني نواح من أصول نجاح المرء والجماعة والمجتمع"[4]. وهي: (التفكير في تلقي العقيدة؛ التفكير في تلقي

(1) النظر هنا مرادف للفكر، ومن العلماء الذين جعلوا الفكر مراد للتفكر إمام الحرمين الجويني في كتابه: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص 25. والإمام محمد بن علي التهانوي في كتابه: كشاف اصطلاحات الفنون، ج 3، ص1121. وقاضي القضاة عبد الجبار الهمداني في كتابه: شرح الأصول الخمسة، ت أحمد بن حسين، ص 25.

(2) الحسن الهمداني، شرح الأصول الخمسة، ص 25.

(3) رشيد رضا، تفسير المنار، ج 11، ص 202.

(4) الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج 01، ص 576.

الشريعة؛ التفكير في العبادة؛ التفكير في تحصيل النجاة في الحياة الآخرة؛ الحزم؛ التفكير في المعاملة؛ التفكير في الأحوال العامة للعالم؛ التفكير في مصادفة الحقيقة في العلوم).

والمتأمل في أوّل ما نزل من القرآن الكريم يدرك ذلك الحث الكبير على التفكر، من خلال الأمر المتكرر بالقراءة، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: 1-5]. وليس المراد بالقراءة هنا "مطلق قراءة الحروف لأن السياق يدل على قراءة خاصة غير تلك المعهودة، أي قراءة تدبر وتفكر تبدأ باسم الرب الخالق، وتسير مع العقل في تأمل أفعاله وصفاته وتدبيره وتصريفه وإنعامه وإحسانه، وذلك يكون بإعمال الحواس في الكون، وملاحظة الظواهر وتتابعها لاكتشاف العلاقات والقوانين والسنن، التي تحكمها وتسيرها، ثم فهمها وتفسيرها وتسخيرها في خدمة الخلق"[1]. فكان منتهى هذه القراءة الناتجة عن عملية التفكير، هو تعديل سلوك الإنسان بما يصلح حاله إعمارا للأرض، ومآله بتحقيق العبودية المطلقة لله تعالى. قال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون. في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: 217-218].

ويقول ابن القيم ﷺ وهو يتحدث عن أهمية التفكير وفوائده: "أصل الخير والشر من قبل التفكر، فإن الفكر مبدأ الإرادة، والطلب والزهد، والترك والحب والبغض. وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها؛ فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار .ويليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها. فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء.

ورأس القسم الأول: الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما. وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة؛ فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها وفي الدنيا وخستها وفنائها؛ أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت. وهذه الأفكار تعلي همته، وتحييها بعد موتها وسفولها، وتجعله في واد والناس في واد"[2].

وعليه؛ فإن التفكير في المنظور الإسلامي يحتل مكانة محورية، إذ تنوعت دعوات القرآن إلى تفعيله عبر أساليب كالنظر، والتعقل، والتدبر، والتذكر. هذا التنوع يعكس اهتمامًا عميقًا بتوجيه العقل نحو استكشاف الحقائق وفهم السنن الكونية. رشيد رضا جعل التفكير مقصدًا قرآنيًا، مبرزًا أهميته في بناء الأمة وداعيًا إلى احتضان ثماره. ويؤكد أن الغفلة عن التفكير تحوّل الأفراد إلى حالة سطحية لا تُغني العقول ولا تزكي النفوس.

(1) حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص 225.

(2) محمد بن القيم الجوزية، الفوائد، ج 1، ص 287.

أما الطاهر بن عاشور فقد عدّ التفكير مدخلًا إصلاحيًا شاملًا، موجهًا نحو ثمانية مجالات مركزية تشمل العقيدة والشريعة والعبادة والمعاملات، مما يعكس رؤيته العميقة لارتباط التفكير بنجاح الفرد والجماعة. هذا المدخل الإصلاحي يتناغم مع دعوة القرآن المبكرة في سورة العلق إلى القراءة المتجاوزة للحروف، التي تستهدف التدبر في الخلق والتأمل في سنن الكون.

ابن القيم وسّع هذه الرؤية عبر تصنيف التفكير إلى أقسام تتناول مصالح الدنيا والآخرة، مشددًا على أن التأمل في نعم الله وصفاته يورث المحبة والمعرفة، ويرفع الهمة إلى الزهد في الدنيا والسعي للآخرة. هذا التوازن بين الفكر والعمل يعكس منهجًا تربويًا متكاملًا يدفع الإنسان نحو إعمار الأرض وتحقيق العبودية الخالصة لله.

أما التربية الفكرية، فيقصد بها: الرقي بالتفكير البشري وتحسين قدراته ومهاراته، لهدف "الوصول باستعداد الفرد للتفكير إلى الكمال الممكن له، مستعينة بوسائل وطرائق مادية وغير مادية، تمكن الفرد من التعامل الواعي في حياته مع جوانب الوجود كلها"[1]. أما في التصور القرآني، فغايتها: تنمية القدرات العقلية للإنسان، وتوسيع عملياتها، وإبراز مجالاتها، وتوجيهها نحو ما يخدم تحقيق المقاصد القرآنية الكلية.

3. عوائق التربية الفكرية في ضوء الرؤية القرآنية

ولما كان الفكر في التصور القرآني بهذه المنزلة، لم يكتف القرآن الكريم بالحث على إعماله وتنميته من خلال التوجيهات والأوامر فقط، بل بسط لأجل ذلك مجموعة من المبادئ والأساليب المتنوعة، لترقية العقل (باعتبار الفكر هو مدار العملية العقلية، أي؛ هو الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأنشطة العقلية التي تتعلق بالتحليل، الفهم، والإدراك. فالفكر في هذا السياق يشمل القدرة على التفكير النقدي والتحليلي الذي يتجاوز الظواهر السطحية، ويسعى لفهم العلل والأسباب العميقة وراء الأحداث والظواهر) وزيادة كفاءته. قبل دراسة قواعد تنمية الفكر البشري في القرآن الكريم، يجب التنبيه إلى العوائق التي حذر منها القرآن والتي قد تفسد الفكر وتعرقل مسيرته نحو التنمية والتحضر.

1.3. التقليد:

يتحدث القرآن الكريم عن الضرورة الدائمة للتفكر والتدبر، بتوظيف العقل في فهم الحقائق، واتخاذ القرارات في الحاضر والمستقبل، بعيدا عن الوصاية والتفويت. فهو ينتقد وبشدة في أكثر من موضع من آياته أولائك الذين يعطلون عقولهم أمام الأعراف والتبعية لغيرهم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170-171]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

(1) التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود، مؤلف جماعي، ص 27.

أَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: 104]. الآيات تسلط الضوء على نقد التقليد الأعمى الذي يعطل العقل ويجعل الإنسان يتبع ما ألفى عليه آباءه دون تمييز أو برهان، "فذم الله تعالى على ترك اتباع الحجة والتقليد بغير حجة"[1]. هذه الآيات جاءت في سياق دعوة الناس إلى التحرر من التبعية الموروثة، خصوصًا تلك التي تقف عائقًا أمام قبول الحقائق الإلهية التي جاء بها الوحي. فهي دعوة صريحة لاستخدام العقل للنظر في الأدلة والبراهين، ورفض الجمود الفكري الذي يعيق الإنسان عن تحقيق الهداية.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]، قال الزمخشري في تفسير الآية: "وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين، وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت"[2]. وكذلك المعرفة، لا تحصل إلا بالنظر والتفكير والاستدلال، فمن ترك التفكير ورضي بالتقليد فلا تنمية ولا حضارة ترجى منه.

تنطبق الآيات على أي مجتمع، بما في ذلك المجتمع المسلم، إذا أصبح التقليد الأعمى سمةً سائدة فيه، رغم أن القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى التفكير والتدبر، إلا أن التقليد الأعمى قد يظهر في بعض المجتمعات المسلمة من خلال:

- اتباع الأعراف[3] الاجتماعية دون التحقق من مدى مطابقتها للشريعة.
- تقليد المذاهب أو الشخصيات العلمية دون فحص الأدلة أو فهم مقاصد الأحكام.
- رفض الاجتهاد والتجديد بدعوى الحفاظ على الثوابت، مما يعيق تقدم الفكر الإسلامي.

هذا السلوك يتنافى مع الدعوة القرآنية التي تشجع العقل على البحث عن الأدلة والتفكير المستقل. وبالتالي، فإن الآيات تعد تحذيرًا للمجتمع المسلم من الانجراف نحو التقليد الذي يوقف عجلة الإبداع والتنمية.

2.3. التكبر:

من أكثر الصفات المذمومة في القرآن الكريم صفة التكبر، حيث جاء ذمها في قرابة ستين موضعا بلفظ: الكبر، والتكبر، والاستكبار، وكلها تدل على الإعجاب الزائد بالنفس، والعلو والغرور، وعدم قبول الحقيقة ولا بذل الجهد في البحث عنها. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤثَرُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: 18-25]. تصف الآية الكريمة حالة تكبر المتكبر الذي يتخذ موقفًا سلبيًا تجاه الحقيقة، ويختلق المبررات

(1) علي بن القطار المالكي، المقدمة في الأصول، ص 12.

(2) محمد الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 178.

(3) العرف لا يُطلق دائمًا على التقليد المذموم، بل يختلف مفهومه عن التقليد الأعمى .**العرف** يشير إلى العادات والتقاليد التي تُقرّها الشريعة إذا لم تتعارض مع نصوصها أو مقاصدها. أما التقليد الذي تنطبق عليه هذه الآيات فهو التقليد الأعمى، الذي يتصف بالجمود والتبعية دون النظر في الحجج أو البرهان.

لرفضها، معتبرًا الوحي مجرد "سحر" أو "قول بشر"، ما يدل على تعطيل العقل بسبب الكبر. قال عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ اَثِيمٍ يَسْمَعُ ءَايٰتِ اِللَّهِ تُتْلٰى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ اَلِيمٍۖ﴾ [سورة الجاثية: 06-07]. أما هذه الآية توضح كيف يدفع التكبر صاحبه إلى الإصرار على الباطل، حتى بعد سماع آيات الله، وهو استكبار يمنع تأثير الحقائق على القلب. قال تعالى: ﴿اَلذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِۦٓ ءَايٰتِ اِللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ اَتٰىهُمْۖ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اَللَّهِ وَعِندَ اَلذِينَ ءَامَنُواۖ كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اُللَّهُ عَلٰى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍۖ﴾ [سورة غافر: 35]. تشير الآية إلى أن الجدال بغير علم أو سلطان يأتي من المتكبرين، وهو أمر يبغضه الله والمؤمنون، مما يظهر أن الكبر يؤدي إلى الجمود الفكري.

ولهذا كلّه كان الكبر في القرآن الكريم من عوائق التفكير السليم، لما يحدثه في قلب المتكبر من أمراض لها آثار سلوكية سيئة على الفرد، فالمتكبر له "اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده، وعز في نفسه بسبب ذلك"[1].

التكبر، كصفة سلوكية وفكرية، قد يوجد في المجتمعات المسلمة كما هو الحال في غيرها. الآيات تحذر من آفات الكبر التي قد تظهر في عدة مظاهر داخل المجتمع المسلم:

- **رفض الحوار أو الاجتهاد** :عندما يرفض البعض النقاش البناء أو يتمسك بآراء شخصية دون دليل.
- **الجمود الفكري** :يظهر التكبر أحيانًا في رفض التجديد أو الاعتراف بخطأ ما، مما يعيق الإبداع الفكري.
- **التكبر العلمي أو الاجتماعي** :سواء من خلال التعالي بالعلم دون مراعاة الآخرين أو اعتقاد التفوق على من يخالفهم الرأي.

وبذلك، فإن هذه الآيات تعد تذكيرًا للمجتمع المسلم لتجنب الوقوع في فخ الكبر الذي يعيق التفكير السليم وقبول الحقيقة.

3.3. السلطة الفكرية والسياسية:

إن العقل الذي ينشأ في بيئة يسودها القهر وكتم الحرية من جهة، وفرض الحقائق الفكرية والمعتقدات الدينية من جهة أخرى، يضل أفقه مسدودا، وتفكيره منغلقا، وإبداعه منعدما. فالجهة الأولى تفقد العقل وظيفته في التفكير والإنكار والنقد والاعتراض، والثانية تفقده تفكيك الحقائق المسلمة ومناقشتها ومعرفة منهج بنائها، سعيا إلى الاجتهاد في تقويمها. ويصور لنا القرآن نموذجا لهذه السلطة التي تحجب العقل عن التفكير، ويجسده خطاب فرعون لقومه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]. ولذلك وحفظا لخاصية التفكير التي ميّز الله بها الإنسان

(1) محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 344.

لأداء وظيفته الاستخلافية في الأرض، أنكر الله عز وجل على أولئك الذين يتعرضون لمثل هذه السلطة ثم يقفون خاضعين دون أن يمارسوا حقهم التفكير والمقاومة؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: 97]. فما دامت هناك خيارات للانفكاك من هذه السلطة فعلى الإنسان أن يحرر عقله منها، حتى لا يحاسب أمام الله على هذا الركون والاستسلام، فالعقل ينبغي أن يمتاز بالاستقلال في التفكير والنظر في قضايا الانسان المختلفة تحقيقا لتنميتها.

4. مبادئ التربية الفكرية في ضوء الرؤية القرآنية

العقل يتحرك بالتفكير إذا سبقه موقف يحفزه ويحرضه على ذلك، ولا شك أن هذا التحفيز له أهمية جد كبيرة في تنمية الفكر، كونه يطور الفهم ويعزز القدرات الذهنية للإنسان. والقرآن الكريم لم يكتفي بالدعوة إلى التفكير فحسب، بل إن المتمعن فيه يجده غنيا بالمثيرات والنداءات التي تحفز العقل وتدعوه إلى التفكير والتأمل العميق، والفهم الشامل للحقائق. وقد تنوعت مواقف التحفير والتحريض في القرآن الكريم بين:

1.4. التحدي الفكري:

يمثل التحدي الفكري محركا أساسيا لتوسيع آفاق الفهم وبلوغ الحقائق، فعندما يتعرض عقل الإنسان للتحدي يبدأ بتفعيل آليات التفكير النقدي عنده، والتحليل العميق، مما يساعده على تجاوز الأفكار والتصورات التقليدية السائدة عنده، ومحاولة استيعاب أفكار جديدة والإيمان بها.

والتحدي في مجمل الاصطلاح يعني: طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة، كما يراد به طلب الفعل مع التلميح إلى عدم القدرة عليه. فعلى على المستوى الأول؛ وقع التحدي في القرآن الكريم بطلب الإتيان بالمثل، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

ثم تدرج معهم في التحدي فطلب منهم أن يأتوا بعشر سورة من مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13].

ثم أنزل هذا التحدي إلى جعله إتيان بسورة منه، وأقصر سورة في القرآن الكريم لا تتعدى ثلاث آيات، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23].

أمّا على المستوى الثاني؛ وقع التحدي في القرآن الكريم بطلب الفعل مع التلميح إلى عدم القدرة عليه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73]. كما

يمكن التمثيل على ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام كلها وترك أكبرها حجما، فحرض عقل عابديها على التفكير في قدرة هذه الأصنام في الدفاع عن نفسها من عدمه، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 62 – 67].

ولم تكن الغاية القرآنية من هذا التحدي تتمثل فقط في إثبات التفوق والغلبة، لأن هذا مفروغ منه ولا شك، فالله غالب على أمره لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء. ولكن السر الذي يمكن أن نتحدث عنه في هذا التحدّ يكمن في كون القرآن الكريم يخاطب في الإنسان عقله (ميزان الحق والباطل) سواء كان هذا الإنسان مؤمنا فيزيد إيمانا، أم جاحدا منكرا فتقام عليه الحجة والدليل.

2.4. الدعوة إلى التدبر:

شرّع الإسلام مجموعة من الأحكام والوسائل والسبل للحفاظ على كلية العقل من جانبي الوجود والعدم، هذه الآلة التي تعد في شرعنا مناط التكليف، وبها كرّم الله تعالى الإنسان، وفضّله على سائر المخلوقات، وارتقت به من مستوى الحيوانية إلى فضاء الإنسانية. ويقصد بحفظ العقل؛ حفظه من كل ما من شأنه أن يعطّل عمله أو يشوش عليه في خدمة الإنسانية وإنتاج العلوم ونشر الدين..، أو أن يلحق به آفة تجعل صاحبه مصدر شر وأذى على نفسه وغيره. ولهذه الأهمية الكبيرة والوظيفة الجليلة كانت دعوة القرآن الكريم واضحة إلى التأمل والتدبر، والتفكر والتذكر في الخلق عامة، وفي كلام الله خاصة، حفظا لهذه الكلية وتنمية لها وإرشادا لتوظيفها فيما ينفع الناس ويصلح حالهم ومآلهم.

ففيما يتعلق بالدعوة القرآنية إلى التدبر في كلام الله عزوجل، فالاستقراء يقودنا إلى حصر ذلك في أربعة مواضع يأمر فيها الله عزوجل بتدبر كلامه، حفظا للعقل من الوقوع في شباك الأوهام والضلال والانحراف والزيغ عن الصراط المستقيم، وهي:

- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء آية 82]
- قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون آية 68]
- قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص آية 29]
- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد آية 24]

فحفظ العقل يتحقق بالنظر والتأمل والتفكر، قال الإمام الزمخشري: "وتدبر الآيات: التفكر فيها، والتأمّل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، لأن من اقتنع بظاهر المتلو، لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا

يستولدها"[1]. ولذلك جعل بعض علماء التفسير التدبر شرطا من شروط التفسير، منهم الإمام الفراهي رحمه الله حيث قال وهو يستحضر شرط النظر والتدبر: "اعلم أن تعيين عمود السورة (يقصد مقصود السورة)، وهو إقليد لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فيضيء به السورة كلها، ويتبين نظامُها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"[2].

وقال ابن عاشور رحمه الله: " والتدبر يتعدى إلى المتأمل فيه بنفسه، يقال: تدبر الأمر. فمعنى يتدبرون القرآن يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق"[3].

أما دعوته إلى التدبر والتأمل في الخلق لمعرفة قدرة الله تعالى، وحكمته في خلقه، وبحثا عن سنن الكون وقوانين الحياة، فهي كثيرة يعرفها القاصي والداني، نذكر منها:

- قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101].
- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 190 – 191].
- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 17 – 20].

فالتدبر إعمال للتفكير المسترشد بالعلوم الشرعية والكونية، في الكشف عن القوانين والسنن الإلهية المسيرة للكون، وللاجتماع البشري، مما ينتج حسن التوافق معها وتوظيفها في تسخير الكون وتنميته.

3.4. توظيف أسلوب الاستفهام:

يأتي مصطلح الاستفهام في المعاجم اللغوية والاصطلاحية بمعنى: طلب معرفة شيء يجهله السائل، وفي القرآن الكريم لا يأتي الاستفهام على حقيقته، وإنما يأتي بلاغيا مجازيا، لأنّه لا يجوز في حقه تعالى أن يستفهم لمعرفة شيء عن عباده وخلقه. لذلك جاء لأغراض أخرى كزيادة الإقناع، وإثارة السامع، والتأثير، وغير ذلك. وقد استعمل القرآن الكريم الاستفهام باعتباره وسيلة فعّالة في تحريض العقل على التفكير،

(1) محمد الزمخشري، الكشاف ج 04، ص 90.

(2) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ص: 77.

(3) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 5، ص 137.

والتأمل العميق، وباعتباره أيضا وسيلة لإثارة الفضول، وتحريك الرغبة في المعرفة واستقصاء الحقائق وتحليلها.

جاء الاستفهام في القرآن الكريم محرضا على التأمل في أحداث التاريخ، واستخلاص العبر المستفادة منها، وداعيا الإنسان إلى التفكير في المسار التاريخي، وتسليط الضوء على الأقوام والأمم التي أمهلها الله، ومنحها من الفرص المتكررة للإيمان والاستقامة، لكنهم كفروا وأذنبوا فأهلكهم الله. ومن الأمثلة على هذا النمط من الاستفهام قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: 06]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: 09].

وفي مواضع أخرى يأتي الاستفهام محرضا العقل على التفكير في الكون، وما خلق فيه المولى عز وجل من خلائق مختلفة، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: 43]. فانظر كيف يوجه الاستفهام انتباه الإنسان إلى التفكير والتأمل في قدرة الله تعالى وعظمته في خلقه، من خلال النظر في كيفية تنظيمه تعالى لهذه المظاهر الطبيعية.

ولذلك يرى المتخصصون في الفكر والتربية أن من "أفضل طرق تنمية التفكير، أن نطرح أعدادا كبيرة من الأسئلة حول القضية موضع المعالجة، أو الآلة موضع التطوير، ثم نبحث عن أفضل الأجوبة عنها"[1]. وكذلك فعل القرآن في إرشاد العقل البشري إلى طريق الحقيقة، سواء تعلقت بالعقيدة، أو بالخلق، أو الكون. ونجد مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَۚ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِۖ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَۚ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَۚ﴾ [المومنون: 85-90].

4.4. الأسلوب الحواري:

الحوار بشكل عام من الأساليب التي تثير في المرء جوانب عدة، كجانب التفكير، وجانب المشاعر والانفعالات المتنوعة. وله أهمية كبيرة في تنمية الفكر، فالحوار يتشكل عبر "الاستماع إلى وجهات نظر

(1) عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، ص147

الآخرين، ومناقشة آرائهم، وعرض أفكارك عليهم. وبالتالي هو بمثابة مساحة التدريب والملعب الذي نجرب فيه أفكارنا. ثم إن الحوار وسيلة لإثارة التفكير وتجريبه وتعديله وإغنائه"[1]. وقد ورد ذكر الحوار في القرآن الكريم في ثلاث مواضع:

- قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34].
- قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 36].
- قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: 01].

وكان الحوار من أهمّ وسائل التواصل التي اعتمدها الأنبياء عليهم السلام في دعوة أقوامهم، للإنظار والتحذير كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ولكنّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 59-62]. ومثله قصة شعيب ولوط عليهما السلام.

أو للإقناع والحجاج كقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 69-77].

وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

فكان هذا الحوار الحجاجي بين الأنبياء وأقوامهم، توجيه رباني إلى ضرورة إعمال مبدأ الاستدلال المثمر، الذي يخاطب العقل، هذا من جهة، وهو صورة من صور تحفيز العقل وتحريضه على التفكير في معتقداته الباطلة، ثم التفكير في الأفكار الجديدة وصولا إلى معرفة الحقائق من جهة ثانية.

5. القواعد والضوابط الناظمة لتربية التفكير في القرآن المجيد

تجاوزت درجة اهتمام القرآن الكريم بالفكر وتنميته، الوقوف عند بسط المحاذير والمنزلقات، ثم المبادئ والأساليب، إلى وضع قواعد وضوابط ترشد عملية التفكير وتضبط مسارها نحو تحقيق غاياتها وأهدافها؛ لأن إطلاق التفكير دون ضابط يؤدي غالبًا إلى نتائج معاكسة للمقصود منه.

(1) إبراهيم الحارثي، التفكير والتعليم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ، ص 53. بتصرف.

1.5. قواعد منهجية:

أ- تحديد الهدف والقصد من التفكير:

إن وضوح الرؤية وتحديد الأهداف يعد قاعدة ضرورية في عملية التفكير، لما تحققه من توجيه قدرات الإنسان وطاقته العقلية، التوجيه الصحيح النافع، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك22]. فالأهداف السامية والمقاصد الجليلة هي الصراط المستقيم الذي يوجه الإنسان ويرشده في حياته، ويشحذ فاعلية تفكيره ويحفظه من الهدر والضياع، الذي قد ينجم عن انحطاط الأهداف وتدني المقاصد أو أنعدامهما.

والقرآن الكريم في دعوته إلى إعمال العقل في التفكير، نجده رسم لهذه العملية مقاصد وأهداف سامية تتوجه إليها وتعمل في تحقيقها، منطلقا في ذلك من مبدأ غائية الوجود المتمثلة في الإصلاح والإعمار، في تفاعله -الإنسان* مع آيات الله في الكتابين المسطور (القرآن) والمنظور (الكون). وقد حصر بعض الباحثين هذه المقاصد والأهداف على هذين المستويين (مجال آيات الكتاب المسطور، ومجال آيات الكتاب المنظور[1]، في الآتي:

- طلب رضا الله والتقرب منه.
- استنباط المعاني والدلالات.
- الكشف عن سنن تحصيل الهداية والإيمان واستثمارها.
- الكشف عن سنن تحقيق الحضارة والعمران واستثمارها.

ب- توجيه التفكير إلى ما ينفع الناس:

من قواعد التفكير في القرآن الكريم، أن يوجه إلى القضايا الكبرى التي تعود بالتنمية والنفع على حياة الإنسان وأخراه، ولذلك قال النبي ﷺ في ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "احرص على ما ينفعك"[2] فانشغال الإنسان بالأفكار النبيلة النافعة يسهم لا محالة في تنمية فكره وسلوكه. وحتى القرآن الكريم في دعوته إلى إعمال العقل في التفكير يوجه دعوته إلى معالي الأمور من تفكير في الخلق وقضايا الكون المعقدة التي تحتاج إلى فهم سننها وتوظيفها في إعمار الأرض بما ينفع الناس كقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190 – 191].

فعملية التفكير في التصور القرآني ينبغي أن تكون هادية إلى المصالح وتكثيرها، دافعة للمفاسد وتقليلها. ويشهد لهذا قوله تعالى في معرض الحديث عن تحريم الخمر والميسر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ

(1) انظر: عبد الله سيف وذو الكفل، مقاصد التفكير في المنظور القرآني، ص 06.

(2) صحيح مسلم، كتاب: القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم الحديث: 2664.

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219-220]. فهذا الالتباس بين بين المنفعة والمفسدة جاءت دعوة القرآن الكريم واضحة إلى جعله موضوعا للتفكير قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، مع الأخذ بما غلبت مصالحه ودفع ما قلت مفاسده.

2.5. قواعد تربوية:

أ- عدم اتباع الهوى: والهوى في مجمل معانيه هو الإعراض عن الحق واتباع الباطل، وقد بين القرآن الكريم أن التفكير الذي يصدر عن اتباع الهوى فينتج لا محالة تقديرات ماكرة للأمور، وقلب لموازين الحق، وتزيين للباطل. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 22].

فالعقل الذي يسيطر عليه الهوى لا يفكر صاحبه إلا فيما يهوى ويرغب من الرغبات والماديات، فيصبح في عبادة للهوى ولا "يبالي بالمواعظ، ولا يتفكر بالآيات، ولا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار"[1]. ولذلك من ضوابط التفكير السليم المنتج للحق والفضلية الابتعاد عن الهوى، "فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها"[2].

ب- استصحاب ذكر الله: يقول ابن القيم رحمه الله: "الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى. قال تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ [الأنعام: 122] "[3]. فهو نور للذاكر في الدنيا بما له من أثر بليغ على دماغ الإنسان، فقد أثبت العلم أن المداوم على ذكر الله تكون دورته الدموية أكثر نشاطا من غيره، كما أن إطالة مدة الذكر والمداومة عليه تقوّي القدرة على الدخول إلى الطبقات الباطنة، فتتدخل في اللاوعي ويمكنها معالجة العقد الدفينة التي حفرت فيه والتي مضى عليها وقت طويل.

ويعد الذكر من أهم ضوابط التفيكر السليم في القرآن، ولذلك جعل الذاكرون المتفكرون أرقى فئات المؤمنين بما جمعوه من ذكر وتفكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 190 – 191].

ثم إن الذكر ينقي القلب والعقل من الشوائب ويبعد الوساوس، مما يجعل الإنسان أكثر قدرة على التفكير السليم. القلوب التي تذكر الله باستمرار يكون أصحابها أكثر استقرارًا وطمأنينة، مما يعزز من

(1) ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5، ص 108.

(2) علي الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 320.

(3) محمد ابن القيم الجوزية، الوابل الصيب، ج 01، ص 114.

قدرتهم على التفكير بشكل صحيح ومنطقي. يقول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

6. خاتمة

ختاما، نؤكد على ما أشرنا إليه في البدء؛ أن القرآن الكريم اهتم اهتماما كبيرا بتنمية قدرة الإنسان على التفكير، من أجل تأهيله لحمل أمانة الاستخلاف فوق الأرض. وقد صاغ لذلك منهجا علميا فريدا ينطلق من التحذير (التحذير من العوائق التي تفسد الفكر البشري وتنحرف به في طريقه نحو التنمية والتحضر) ثم التحفيز (من خلال المثيرات والنداءات التي تحفز العقل وتدعوه إلى التفكير والتأمل العميق، والفهم الشامل للحقائق) ثم التوجيه (من خلال التوجيهات التي ترشد عملية التفكير وتضبط مسارها نحو تحقيق غاياتها وأهدافها).

نتائج الدراسة:

- تم تعريف الفكر كعملية تدبر وتأمل تجمع بين العقل والقلب والروح، وتنقل الإنسان من المعرفة الموجودة لديه إلى استكشاف مجهولات جديدة، ما يؤدي إلى تنمية العلوم والمعارف لتحقيق التقدم في الحياة.
- القرآن الكريم شدد على التفكير في مواضع متعددة، مشيرًا إلى دور العقل في العقيدة، وفهم التكليف، واستيعاب سنن الكون. وبهذا، يتضح أن التفكير ليس مجرد أداة معرفية، بل هو عنصر أساسي في تحقيق الاستخلاف الإنساني.
- القرآن يقدم منهجًا متكاملًا لتربية الفكر الإنساني، يشمل التحذير من العوائق التي تفسد الفكر (مثل التقليد والجمود)، والتحفيز على التفكير باستخدام آليات مثل الاستفهام والحوار، ثم توجيه الفكر نحو الأهداف الكبرى كالعبودية لله وإعمار الأرض.
- الفكر السليم يشكل أساسًا لبناء الحضارة الإنسانية، ودراسة أسس التربية الفكرية في القرآن تساهم في تقديم رؤية واضحة لتطوير المجتمعات الإنسانية، قائمة على التدبر والعقلانية.
- توصيات الدراسة:
- تعزيز التفكير النقدي لدى الأفراد: ضرورة توظيف النصوص القرآنية التي تحث على التدبر والتفكر كمرجعية لتشجيع التفكير النقدي في مواجهة التقليد الأعمى والجمود الفكري. مع تضمين برامج تعليمية تركز على مهارات التحليل والمناظرة، مستوحاة من الأساليب القرآنية كالحوار والتحدي الفكري.
- الاهتمام بالتربية الفكرية الشاملة: تقديم مفهوم "التربية الفكرية" كإطار متكامل يتضمن مبادئ التفكير السليم والضوابط القرآنية التي تضمن استدامة الفكر. وإعداد مناهج تعليمية تُعرّف المتعليمن على العلاقة بين التفكير السليم ومقاصد الشريعة.

- تطبيق المنهج القرآني في الواقع المعاصر: استخدام النصوص القرآنية كنماذج عملية للتعامل مع تحديات العصر الرقمي وتعزيز التفكير الإبداعي والنقدي لمواجهة التغيرات السريعة. ودمج أساليب التفكير المستنبطة من القرآن، مثل الاستفهام والحوار، في التعليم والتدريب.
- تحفيز البحث العلمي في القضايا الفكرية: تشجيع الدراسات التي تستهدف استنباط الآليات القرآنية لتطوير الفكر البشري وتطبيقها على تحديات العصر، من خلال دعم المشروعات البحثية التي تجمع بين المقاصد القرآنية ومنهجيات التفكير المستدامة.

5. قائمة المراجع:

- آبادي، فيروز. (د.ت.ن). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن القصار المالكي، علي. (1996م). المقدمة في الأصول (ط1). تونس: دار الغرب الإسلامي.
- ابن القيم الجوزية. (2019م). الفوائد (ط4). الرياض: دار عطاءات العلم؛ بيروت: دار ابن حزم.
- ابن القيم الجوزية. (2019م). الوابل الصيب (ط1). الرياض: دار عطاءات العلم؛ بيروت: دار ابن حزم.
- ابن فارس، أحمد. (د.ت.ن). مقاييس اللغة. دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن منظور، محمد. (د.ت.ن). لسان العرب. بيروت: دار الفكر.
- الأصفهاني، الراغب. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن (ط1). دمشق: دار القلم والدار الشامية.
- الألوسي، محمد. (د.ت.ن). روح المعاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- بكار، عبد الكريم. (1999م). مدخل إلى التنمية المتكاملة. دمشق: دار القلم.
- البيضاوي، ناصر الدين. (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ط1). لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- التهانوي، محمد بن علي. (د.ت.ن). كشاف اصطلاحات الفنون. بيروت: دار صادر.
- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت.ن). التعريفات (ط3). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجويني، إمام الحرمين. (1985م). الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ط1). بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
- الحارثي، إبراهيم أحمد. (1421هـ). التفكير والتعليم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ. الرياض: مكتبة الشقري.
- الرازي، محمد. (1995م). مختار الصحاح. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- رشيد رضا، محمد. (1990م). تفسير المنار. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الزمخشري، محمود. (1987م). الكشاف (ط3). القاهرة: دار الريان للتراث؛ بيروت: دار الكتاب العربي.
- السيف، جلال عبد الله، وذو الكفل، محمد يعقوب. (2018م). مقاصد التفكير من المنظور القرآني. مجلة الرسالة، 2(4)، 19.
- الطاهر بن عاشور. (2004م). مقاصد الشريعة الإسلامية. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- الغزالي، أبو حامد. (1988م). إحياء علوم الدين. بيروت: دار الندوة الجديدة.
- الفراهي، عبد الحميد. (1968م). دلائل النظام. بعناية بدر الدين الإصلاحي.
- الماوردي، أبو الحسن. (1407ه). أدب الدنيا والدين (ط3). لبنان: المكتبة الثقافية.
- المسلم، أبو الحسن. (1334ه). الجامع الصحيح. تركيا: دار الطباعة العامرة.
- الملكاوي، فتحي حسن. (2011م). منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية (ط1). بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- المؤلف الجماعي. (2021م) .التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود (ط1). المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- الهمداني، عبد الجبار. (د.ت.ن). شرح الأصول الخمسة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

6. Bibliography List

- Abadi, F. (n.d.). Al-Qamus al-Muhit [The Comprehensive Lexicon]. Beirut: Al-Resalah Foundation.
- Al-Alusi, M. (n.d.). Ruh al-Ma'ani [The Spirit of Meanings]. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Al-Asfahani, R. (1991 CE/1412 AH). Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an (1st ed.). Damascus: Dar al-Qalam and al-Dar al-Shamiyyah.
- Al-Baydawi, N. (1998 CE/1418 AH). Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil (1st ed.). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Al-Farrahi, A. H. (1968). Dalail al-Nizam [Indicators of Coherence]. Edited by Badr al-Din al-Islahi.
- Al-Ghazali, A. H. (1988). Ihya' 'Ulum al-Din [Revival of the Religious Sciences]. Beirut: Dar al-Nadwah al-Jadidah.
- Al-Harithi, I. A. (2000 CE/1421 AH). Thinking, Education and Memory in Light of Brain Research. Riyadh: Al-Shuqri Library.
- Al-Jarjani, A. Q. (n.d.). Al-Ta'rifat [The Definitions] (3rd ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

- Al-Juwayni, I. H. (1985). Al-Irshad ila Qawaṭi‘ al-Adillah fi Usul al-I‘tiqad [The Guide to Decisive Proofs in Theology] (1st ed.). Beirut: Al-Kutub al-Thaqafiyyah Foundation.
- Al-Maliki, A. b. al-Qattar. (1996). Al-Muqaddimah fi al-Usul (1st ed.). Tunis: Dar al-Gharb al-Islami.
- Al-Mawardi, A. H. (1986 CE/1407 AH). Adab al-Dunya wa al-Din (3rd ed.). Beirut: Al-Maktabah al-Thaqafiyyah.
- Al-Raghib al-Asfahani. (1991 CE/1412 AH). Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an (1st ed.). Damascus: Dar al-Qalam and al-Dar al-Shamiyyah.
- Al-Razi, M. (1995). Mukhtar al-Sihah [Selected Lexicon]. Beirut: Maktabat Lubnan Publishers.
- Al-Saif, J. A., & Dhul-Kifl, M. Y. (2018). The Objectives of Thinking from a Qur’anic Perspective. Al-Risalah Journal, 2(4), 19.
- Al-Tahanawi, M. b. A. (n.d.). Kashshaf Istilahat al-Funun [Encyclopedia of Technical Terms]. Beirut: Dar Sader.
- Al-Tahir Ibn Ashur. (2004). Maqasid al-Shari'ah al-Islamiyyah [The Objectives of Islamic Law]. Qatar: Ministry of Endowments and Islamic Affairs.
- Al-Turki, A. b. H. (1995). Mukhtar al-Sihah [Selected Lexicon]. Beirut: Lebanon Library Publishers.
- Al-Zamakhshari, M. (1987). Al-Kashshaf (3rd ed.). Cairo: Dar al-Rayan li al-Turath; Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.
- Al-Zarqani, A. (n.d.). Sharh al-Asul al-Khamsa [Explanation of the Five Principles]. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Al-Zurqani, M. (n.d.). Sharh al-Asul al-Khamsa. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Bakkar, A. K. (1999). Madkhal ila al-Tanmiya al-Mutakamilah [An Introduction to Integrated Development]. Damascus: Dar al-Qalam.
- Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah. (2019). Al-Fawa’id (4th ed.). Riyadh: Dar ‘Ataa’at al-‘Ilm; Beirut: Dar Ibn Hazm.
- Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah. (2019). Al-Wabil al-Sayyib (1st ed.). Riyadh: Dar ‘Ataa’at al-‘Ilm; Beirut: Dar Ibn Hazm.
- Ibn Faris, A. (n.d.). Maqayis al-Lughah [Linguistic Scales]. Beirut: Dar al-Fikr.
- Ibn Manzur, M. (n.d.). Lisan al-Arab [The Tongue of the Arabs]. Beirut: Dar al-Fikr.

- Malikawi, F. H. (2011). Manhajiyyat al-Takamul al-Ma'rifi: Muqaddimat fi al-Manhajiyyah al-Islamiyyah (1st ed.). Beirut: IIIT.
- Muslim, A. H. (1915 CE/1334 AH). Al-Jami‘ al-Sahih [The Authentic Collection]. Turkey: Dar al-Tiba‘ah al-‘Amirah.
- Rashid Rida, M. (1990). Tafsir al-Manar [The Beacon Exegesis]. Egypt: Egyptian General Book Authority.